الدرس السادس والعشرون :

قيام ليلة قدر

قال رسول الله ﷺ : «**مَن صام رمضان إيمانًا واحتسابا غُفر له ما تقدَّم من ذنبه**»، و«**مَن قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدَّم من ذنبه**»[1]، «**ومَن قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدَّم من ذنبه**»[2].

من خصائص شهر رمضان :

ممَّا اختصَّ الله به هذا الشهر الكريم ، الذي افترض فيه الصيام ، وسنَّ فيه القيام ، وجعله موسمًا لتجارة الصالحين ، موسمًا للمغفرة وتكفير السيئات ، ومُغتسلاً لتطهير القلوب من الأدران والغفلات ، ممَّا اختصَّ الله به هذا الشهر أن جعل فيه ليلة القدر . . .

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾ (القدر :١-٣)، والقدر هو : الشرف ورفعة المقام ، فهي ليلة ذات قدر ، أُنزل فيها كتاب ذو قدر ، على نبي ذي قدر ، لأمة ذات قدر .

ليلة القدر هي : الليلة التي أنزل الله فيها خير كتاب أُنزل ، على خير نبي أُرسل ، إلى خير أمة أُخرجت للناس .

ليلة القدر إذن هي ليلة القرآن ، ليلة هذا الدستور السماوي العظيم ، ليلة أُنزل فيها هذا القرآن ، فضَّلها الله على سائر الليالي ، بل جعلها خيرًا من ألف شهر .

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري في الإيمان (٢٠٠٩) ، ومسلم في صلاة المسافرين وقصرها (٧٥٩) ، كما رواه أحمد (٧٧٨٧) ، وأبو داود في الصلاة (١٣٧١) ، والترمذي في الصوم (٨٠٨) ، والنسائي في قيام الليل (١٦٠٢) ، عن أبي هريرة .

(٢) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الصوم (١٩٠١) ، ومسلم في صلاة المسافرين وقصرها (٧٦٠) ، كما رواه أحمد (٩٢٨٨ ، ٩٢٨٩) ، وأبو داود في الصلاة (١٣٧٢) ، والترمذي في الصوم (٦٨٣) ، والنسائي في الصيام (٢٢٠٦) ، عن أبي هريرة .

OBEIKAN.COM

العمل الصالح فيها ، الطاعة والعبادة والقيام ، خير من العمل والطاعة في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر ، وهي تساوي ـ كما سبق أن بينَّا في الدرس العشرين من دروس رمضان ـ ثلاثا وثمانين سنة وأربعة أشهر . . . إنها عمر طويل .

ليلة خير من عمر طويل :

كم يتمنَّى الإنسان منا أن يُعَمَّر ، وأن يمدَّ له في الأجل حتى يعيش ألف شهر يعمل فيها صالحًا . . . يعيش بعد الصبا ثلاثًا وثمانين سنة . . . فإذا أضيفت إليها سنوات الصبا قبل التكليف كانت قرابه مائة سنة . . . وهذا عمر طويل .

ولكن هذا العمر الذي يتمنَّاه الإنسان ويودُّ لو يعيشه ، ويدعو الله أن يتيحه له ، وأن يَعمْرُه بالخير والعمل الصالح ، مثل هذا العمر المتمنَّى . . . آتاه الله لأتباع محمد ﷺ في ليلةٍ واحدة . . . طوي هذا العمر الطويل في تلك الليلة . . . ليلة القدر .

وأيُّ قدر أعظم أن يكون العمل في هذه الليلة خيرًا من العمل في ألف شهرليس فيها ليلة القدر ؟!

روي أنَّ النبيَّ ﷺ أُري أعمار الأمم قبل الأمة الإسلامية ، فرأى أعمارهم تطول ، ورأى هذه الأمة يعيش أبناؤها ما بين الستين والسبعين والثمانين ، فعزَّ عليه تقاصر أعمار أمته ، ألاَّ يبلغوا من العمل والصالحات ما بلغت الأمم الخالية[1] . . . فأعطاه الله هذه الليلة ، تكرِمة لرسوله ، وتكرِمة لهذه الأمة .

أعطاهم ليلة هي خيرٌ من عمر طويل . . . وتتكرَّر هذه الليلة كل عام في رمضان المبارك ، أرأيتم مثل هذه المضاعفة؟! إنها ليست مضاعفة مائة في المائة ، ولا مائتين في المائة ، ولا ألفا في المائة . . . بل ليلة واحدة خير من ثلاثين ألف ليلة مما سواها من الليالي . إنها ثلاثة ملايين في المائة (٣٠٠٠٠٠٠٪) .

---

(١) عن مجاهد ، أن النبي ﷺ ذكر رجلا من بني إسرائيل لبس السلاح في سبيل الله ألف شهر ، قال : فعجب المسلمون من ذلك . قال : فأنزل الله عز وجل : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾ (القدر :١-٣) ، التي لبس فيها ذلك الرجل السلاح في سبيل الله ألف شهر . رواه البيهقي في الكبرى كتاب الصيام (٣٠٦/٤) ، وهذا مرسل .

OBEIKAN.COM

نزول الملائكة في هذه الليلة :

إن الله ينزل في هذه الليلة الرحمة والثواب الجزيل ، وينزل فيها الملائكة ، فتملأ فِجاج الأرض . . . والملائكة مظهر الرحمة ، ومظهر الرضوان ، ومظهر البركة من الله عز وجل ، فنزول الملائكة هو تنزُّل للرضا والرحمات ، وللخيرات .

ولهذا كان البيت المحروم من الخير ، هو البيت الذي لا تدخله الملائكة ، كالبيت الذي فيه كلب لغير حاجة ، وكالبيت الذي فيه تماثيل[1].

سلام هي حتى مطلع الفجر :

هي ليلة سلام . . . كلها سلام من أولها حتى يشرق فجرها : ﴿ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴾ (القدر:٥).

هذه هي ليلة القدر ، التي اختصَّ الله بها هذه الأمة ، وفضَّلها بها على غيرها من الأمم ، ﴿ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ (البقرة:١٠٥).

يُفضِّل الله من الأيام ما شاء ، ومن الليالي ما شاء ، ومن الأماكن ما شاء ، ومن الأشخاص ما شاء ، فإن التفضيل والإيثار والاختيار والاختصاص من شأن الرب وحده ، ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ﴾ (القصص:٦٨)، اختار الله هذه الليلة . . . ولكن لحكمة بالغة لم يُعيِّنها الله لنا .

أي ليلة هي ؟

عيَّن القرآن لنا أنها في شهر رمضان الذي أُنزل فيه القرآن ، ولكن أي ليلة هي من رمضان ؟

لقد قال قوم : إنها أول ليلة من رمضان .

---

(١) قال رسول الله ﷺ : «لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا صورة تماثيل»، متفق عليه : رواه البخاري في بدء الخلق (٣٢٢٥) ، ومسلم في اللباس والزينة (٢١٠٦) ، كما رواه أحمد (١٦٣٤٦) ، والترمذي في الأدب (٢٨٠٤) ، والنسائي في الزينة (٥٣٤٧) ، وابن ماجه في اللباس (٣٦٤٩) ، عن أبي طلحة .

ذهب الحسن البصري وبعض الفقهاء والأئمة إلى أنها ليلة السابع عشر من رمضان . . . ليلة غزوة بدر ، التي أنزل الله فيها الملائكة : ﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ﴾ (الأنفال:٤١)، قالوا : لأنها الليلة التي ابتدأ فيها نزول القرآن على النبي ﷺ ، وابتدأ فيها الوحي ، وكان ذلك ـ كما جاء من الروايات ـ في ليلة السابع عشر من رمضان .

وذهب بعض الصحابة إلى أنها ليلة إحدى وعشرين ، ذهب إلى ذلك أبو سعيد الخدري رضي الله عنه ، فإن النبيَّ ﷺ ، قال لهم : «أرأيتم ليلة القدر؟ ثم تلاحى فلان وفلان في المسجد فرفعت». أي : إن اثنين من الصحابة تلاحيا وتشاجرا ، فكان من شؤم هذا الخصام ووقوع الخلاف ، أن رفع الله علمها من قلبه ، ولم تُعيَّن لهم بعد أن كانت معروفة . . . وأراد أن يخبرهم بها . . . فقال عليه الصلاة والسلام حينما أُنسيها : «لعل ذلك خير لكم» . ثم قال له : «إني أُريتُ كأني أسجد ليلتها في ماء وطين» . قال أبو سعيد الخدري ، وقد سمع ذلك من النبي ﷺ : إن السماء كانت صافية ، فما هي إلا أن ظهرت قزعة ، ومُطرنا ، فما كان إلا أن النبي ﷺ في صبيحة هذه الليلة ، ليلة الواحد والعشرين من رمضان ، سجد فرأى على جبهته الماء والطين[1].

ولهذا رجَّح أبو سعيد وظنَّ أنها في هذه الليلة ، أي أول ليلة من ليالى العشر الأواخر من رمضان . وفي سلطنة عمان ، يحتلفون بليلة القدر ليلة الحادي والعشرين .

وذهب بعض السلف إلى أنها تنتقل من عام إلى عام ، ولا تثبت في ليلة واحدة أبد الدهر .

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري (٢٠١٦) ، ومسلم (١١٦٧) ، كلاهما في فضل ليلة القدر ، كما رواه أحمد (١١٠٣٤) ، وأبو داود في الصلاة (٨٩٤) ، والنسائي في السهو (١٣٥٦) ، وابن ماجه في الصيام (١٧٦٦) ، عن أبي سعيد الخدري .

OBEIKAN.COM

وذهب بعض الصحابة والتابعين إلى أنها ليلة السابع والعشرين من رمضان ، وقد ذهب إلى ذلك أُبيُّ بن كعب ، وكان يحلف على ما يقول ، كما ذهب إليه عبد الله بن عباس[1].

سبب خفائها :

والمهم أنها لم تتعيَّن ، وكأنَّ الله تعالى أخفى ذلك لحكمة . . . كما أخفى عنا الساعة التي يُجيب فيها الدعاء يوم الجمعة ، والتي لا يُصادفها مسلم يدعو الله بخير إلا استجاب له[2]. . . ولم تُعيَّن هذه الساعة ، ليظلَّ قلب الإنسان مُعلَّقًا بالله ، ضارعًا ، داعيًا طوال اليوم .

وكذلك لم يُعيِّن الله ليلة القدر لأن الإنسان ينزع إلى الكسل ويميل إلى الراحة ، فلو عرف ليلة القدر وأيقن أي ليلة هى لكسل معظم الشهر وغفل ، حتى إذا كانت هذه الليلة اجتهد وشمَّر عن ساعديه ، وكشف عن ساقيه ، وقام الليل ودعا ، وعبد وتضرع . لكيلا يكون ذلك أخفى الله وغيَّب عنا بحكمته علم هذه الليلة وتعيينها .

ولكن الظنَّ القوي أنها في العشر الأواخر من رمضان .

فقد أمرنا النبيُّ ﷺ بالتماسها في العشر الأواخر ، وفي الأوتار خاصة ، وهي الليالى الفردية . . . ولا يُطلب منا التماسها في العشر الأواخر ، إلا إذا كان الراجح أن تكون في هذه الليالي . . .

كيف نقيم ليلة القدر؟

وإذا كان بعض البلاد يصوم متأخرًا عن بعض ، فمعنى هذا أنَّ كل ليلة تصلح لأن تكون فرديَّة وأن تكون زوجيَّة،ومن هنا على الإنسان المسلم الراغب في الخير:

---

(١) راجع هذه الأقوال في كتابنا : (فقه الصيام) صـ١١٥ وما بعدها ، طبعة مكتبة وهبة ، القاهرة ، وفتح الباري (٤/٢٥٦) وما بعدها .

(٢) قال رسول الله ﷺ : «في الجمعة ساعة لا يوافقها مسلم قائم يصلي يسأل الله خيرا إلا أعطاه»، وقال بيده ووضع أنملته على بطن الوسطى والخنصر قلنا يزهدها . متفق عليه : رواه البخاري في الطلاق (٥٢٩٤) ، ومسلم في الجمعة (٨٥٢) ، كما رواه أحمد (٧١٥١) ، والنسائي في الجمعة (١٤٣١) ، وابن ماجه في إقامة الصلاة والسنة فيها (١١٣٧) ، عن أبي هريرة .

OBEIKAN.COM

أن يلتمسها في سائر الليالي العشر الأواخر . . . ولا يكسل في ليلةٍ من الليالي . . . عليه أن يقوم ويُحسن القيام . . . قيام الخشوع ، وقيام الاطمئنان ، لا نقر الغراب ولا نقر الديكة ، ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴾ (المؤمنون: ١، ٢).

عليه أن يتلو القرآن ، فإن للمسلم في كل حرف يتلوه عشر حسنات ، كما جاء في الحديث : «لا أقول : الٓمٓ حرف ، ولكن ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف»[١].

عليه أن يدعو ويتضرَّع ، فإن «الدعاء مُخ العبادة»[٢]... بل «الدعاء هو العبادة»[٣].

وقد سألت النبيَ ﷺ ، السيدة عائشة : أرأيت إن علمتُ أي ليلة ليلة القدر ، ما أقول فيها؟ فقال : «قولي : اللهم إنك عفوٌّ تُحبُّ العفو فاعفُ عني»[٤]. والأدعية كثيرة في القرآن وفي السنة .

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ (البقرة: ٢٠١)، «اللهم إني أسألك العفو والعافية في الدنيا والآخرة»[٥]. . . إلى غير ذلك مما ورد من أدعية كثيرة في القرآن ، وفي أحاديث النبي ﷺ ، وخير الدعاء المأثور ، فإن فيه أجرين : أجر الدعاء ، وأجر اتِّباع السنة ، واتِّباع هدي الرسول ﷺ .

---

(١) سبق تخريجه صـ ١٣٩ .

(٢) رواه الترمذي في الدعوات (٣٣٧١)، وقال : حديث غريب من هذا الوجه ، لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة ، والطبراني في الأوسط (٣١٩٦) ، عن أنس .

(٣) رواه أحمد (١٨٣٥٢)، وقال مخرِّجوه : إسناده صحيح ، وأبو داود في الصلاة (١٤٧٩)، والترمذي في تفسير القرآن (٢٩٦٩)، وقال : حسن صحيح ، وابن ماجه في الدعاء (٣٨٢٨) ، عن النعمان بن بشير .

(٤)سبق تخريجه صـ ١٧١ .

(٥)سبق تخريجه صـ ١٧١ .

OBEIKAN.COM

النبيُّ في العشر الأواخر :

وكان النبيُّ ﷺ إذا حضر العشر الأواخر : شدَّ مِئزره ، وأحيا ليله ، وأيقظ أهله[1].

أحيا ليله كله بالطاعة والعبادة والقيام والقراءة والدعاء . وأيقظ أهله ، وأهاب بنسائه ليأخذنَّ حظَّهنَّ من العبادة ومن الطاعة . وكان يعتكف في هذه العشر ، في المسجد ، ليظلَّ ليله ونهاره لله عز وجل ، مُستغرقًا في العبادة ، مُتلذِّذا بمناجاة ربه ، فإن للعبادة عند العارفين رُوحًا ورَوْحًا وريحانًا وقرة عين ، كما قال ﷺ : « وجُعلت قرة عيني في الصلاة »[2]، وكما قال في الصيام : « إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني »[3].

إنَّ ليلة القدر مُنتشرة في رمضان ، وهي أرجى ما تكون في العشر الأواخر ، فاحرصوا عليها والتمسوها واطلبوها .

أيها المسلمون : لنلتمس ليلة القدر ، ولنجتهد في العبادة أكثر ممَّا كنا عليه ، ولنحرص على الخير وعلى طاعة الله أكثر ممَّا كنا نحرص ، ولنُحسِّن قيامنا وركوعنا وسجودنا أكثر ممَّا كنا نُحسِّن ، ولنتضرَّع إلى الله بقلوبنا ، ولنُقبل عليه بكليتنا ، واقفين على بابه ، مُتذلِّلين على أعتابه ، مُتضرِّعين إليه ، باسطين أكفَّنا إليه بالسؤال ، داعين خاشعين : ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ (الأعراف:٢٣)[4].

* * *

---

(١)سبق تخريجه صـ ١٧١ .

(٢) رواه أحمد (١٢٢٩٣) ، وقال محققوه : إسناده حسن ، والنسائي في عشرة النساء (٣٩٣٩) ، وأبو يعلى (٣٤٨٢) ، والطبراني في الصغير (٧٤١) ، وفي الأوسط (٥٠٢٣) ، والحاكم في النكاح (١٦٠/٢) ، وصححه على شرط مسلم ، ووافقه الذهبي ، والبيهقي في الكبرى كتاب النكاح (٧٨/٧) ، وقال العراقي في تخريج الإحياء : رواه النسائي والحاكم من حديث أنس بإسناد جيد وضعفه العقيلي (٣٢/٢) ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣١٢٤) .

(٣) متفق عليه : رواه البخاري في الصوم (١٩٦٤) ومسلم في الصيام (١١٠٥) ، كما رواه أحمد (٢٦٢١١) ، عائشة .

(٤) راجع ما ذكرناه في كتابنا : (فقه الصيام) صـ١٢٩-١٣٤ .